١ — «أَبو الْحَجَّاجِ»

كانَتِ الْحَيَوانَاتُ تَتَكَلَّمُ فِي قَدِيمِ الزَّمانِ: أَعْنِي فِي الْعُصُورِ الْأُولَى الَّتِي انْقَضَى عَلَيْها آلافُ السِّنِينَ. كانَتْ تَتَكَلَّمُ كَما يَتَكَلَّمُ الْإِنْسَانُ. وَقَدْ عاشَ — فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْغابِرَةِ — جَمْهَرَةٌ مِنَ الْأَفْيالِ عِيشَةً رَغَدًا هَنِيئَةً، فِي بَعْضِ الْغاباتِ الْقَرِيبَةِ مِنْ جِبالِ الْحَمَلايا فِي الْهِنْدِ.

وَكانَتْ تِلْكَ الْأَفْيالُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ، حَسَنَةَ الشَّكْلِ. وَقَدْ فاقَها جَمِيعاً فِيلٌ يُدْعَى: «أَبا الْحَجَّاجِ». وَهُوَ أَبْيَضُ، ضَخْمُ الْجُثَّةِ، نَبِيلُ النَّفْسِ. فَأَصْبَحَ بَيْنَ الْأَفْيالِ جَمِيعاً خَيْرَ مِثالٍ لِأَنْبَلِ الْمَزايا، وَأَكْرَمِ الْأَخْلاقِ.

٢ — «أُمُّ شِبْلٍ»

أَمَّا «أُمُّ شِبْلٍ» — وَهِيَ أُمُّ ذٰلِكَ الْفِيلِ الْوَدِيعِ الْكَرِيمِ النَّفْسِ — فَقَدْ كانَتْ، وَالْحَقُّ يُقالُ، حَكِيمَةً مُجَرِّبَةً، تَجْمَعُ — إِلَى سُمُوِّ السَّجايا — بُعْدَ النَّظَرِ، وَأَصالَةَ الرَّأْيِ، وَصِدْقَ الْفِراسَةِ، وَصِحَّةَ الاسْتِدْلالِ عَلَيْها مِنَ الظَّواهِرِ البادِيَةِ. وَلٰكِنَّ الشَّيْخُوخَةَ أَقْعَدَتْها — لِسُوءِ الْحَظِّ — وَأَعْجَزَتْها عَنِ السَّيْرِ. وَكُفَّ بَصَرُها (عَمِيَتْ) فاشْتَدَّ عَجْزُها، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْها آفاتُ الْهَرِمِ وَعِلَلُهُ، فَلَبِثَتْ — فِي مَكانِها — لا تَنْتَقِلُ خُطْوَةً، وَلا تُحَرِّكُ قَدَماً.

٣ — وَفاءُ « أبِى الْحَجَّاجِ »

وَقَدْ كانَ وَفاءُ « أَبى الْحَجَّاجِ » لِأُمِّهِ عَلَى أَحْسَنِ ما يَفِى وَلَدٌ بارٌّ لوالِدَتِه الْحَنُونِ. نَعَمْ، عُنِيَ « أَبُو الْحَجَّاجِ » بِـ « أُمِّ شِبْلٍ » الْعِنايَةَ كُلَّها، وَلَمْ يَأْلُ جُهْدًا فى إِسْعادِها وَبِرِّها، وَتَلْبِيَةِ طِلْبَتِها.

وَكان « أَبُو الْحَجَّاج » يَخْرُجُ — كُلَّ يَوْمٍ — لِيَجْمَعَ لأُمِّهِ الْعَجُوزِ أَطْيَبَ الْفَواكِهِ الْبَرِّيَّةِ اللَّذيذةِ الطَّعْمِ، وَلا يدَعُ لَها مَجالًا للتَّحَسُّرِ عَلى أَيَّام شَبابِها الْأُولَى؛ لأَنَّهُ كانَ يَقُومُ لَها بِكُلِّ ما تشْتَهِيهِ مِنْ أَلْوانِ الْأَطْعِمةِ، وَصُنُوفِ الْأَشْرِبَةِ.

٤ — لُصُوصُ الْأَفْيال

وَلٰكِنَّ أَمْرًا واحِدًا كانَ يُزْعِجُ « أَبا الْحَجَّاج » وَيَهُمُّهُ، وَيَمْلَأُ نَفْسَهُ حُزْنًا وَأَسًى. ذٰلِكَ: أَنَّهُ رَأى كَثيرًا مِنَ الْأَفْيالِ الْأُخْرَى، تَسْرِقُ طَعامَ أُمِّهِ الْعَجُوزِ، الَّتِى كُفَّ بَصَرُها، وَاشْتَدَّ عَجزُها.

وَقدْ أَنَّبَهُمْ « أَبُو الْحَجَّاج » عَلَى ذٰلِكَ مَرَّاتٍ عِدَّةً، وَأَظْهر لَهُمْ — فى أَجْلَى بيانٍ، وَأَوْضَحِ أُسْلُوبٍ — أَنَّ عَمَلَهُمْ هٰذا غايَةٌ فى النَّذالَةِ وَلُؤْمِ الطَّبْعِ، وَفَسادِ الْخُلُقِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الْعَوْدَةِ إلَى مِثْلِ هٰذِهِ الْفَعْلَةِ الْمَمْقُوتَة الشَّنْعاءِ، وَلٰكِنَّ الْأَفيالَ لَمْ تُقْلِعْ عَنْ عادَتِها، وَلَمْ تَكُفَّ عَنْ سَرِقَةِ الطَّعامِ الَّذِى كانَ « أَبُو الْحَجَّاج » يَكُدُّ — طُولَ يَوْمِهِ — لِيَجْمَعَهُ لِـ « أُمِّ شِبْلٍ ».

٥ — الْعُزْلَةُ

وَفى ذاتِ يَوْمٍ ، ٱنْتَحى «أبو الْحَجَّاج» أُمَّهُ جانبًا ، وَقالَ لَها مَحْزُونًا :

« لَقَدْ تَمادَى أَصْحابُنا الأَفْيالُ فى جَوْرِهِمْ وَعُدْوانِهِمْ عَلَيْنا ، وَخَيْرٌ لِي وَلَكِ يا أُمَّاهُ — فيما أرَى — أنْ نَعيشَ فى عُزْلَةٍ بَعيدَيْنِ عَنْ هٰؤُلاءِ اللُّصُوصِ الْخائِنينَ . فإذا رَأَيْتِ رَأْيِى وَرَضِيتِ عنْ هٰذا الاقْتِراحِ فَلا تَتَوانَىْ فى الذَّهابِ مَعِى إلى كَهْفٍ قَرِيبٍ ، قَدْ تَخَيَّرْتُهُ لِسُكْنانا جَميعًا ؛ وَهُوَ عَلَى مَسافَةٍ غَيْرِ بَعيدَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْغابَةِ . فَماذا أنْتِ قائِلَةٌ ؟ »

فَارْتاحَتْ «أُمُّ شِبْلٍ» لِهٰذا الاقْتِراحِ السَّديدِ ، وَلَمْ تُعارِضْ فى تَلْبِيَتِهِ ؛ وسارَتْ — مِنْ فَوْرِها — إلَى حَيْثُ يَقُودُها « أبُو الْحَجَّاج » ، حَتَّى وصَلا إلى مَأواهُما ٱلْجَديدِ ، واسْتَقَرَّا فى ٱلْكَهْفِ .

وكانَ ٱلْكَهْفُ حَسَنَ ٱلْمَوْقِع ، قَرِيبًا مِنْ بَعْض ٱلْمُرُوج ٱلْمُخْصِبَةِ ، ٱلْمَمْلُوءَةِ بأَطْيَبِ ٱلْفواكِهِ ٱلْبَرِّيَةِ ، وأَشْهَى الثِّمارِ اللَّذيذَةِ ، وَإلَى جانِبِهِ بُحَيْرَةٌ صَغيرةٌ مُغَطَّاةٌ بأَزاهِيرِ « اللُّوتَس » ، حَيْثُ عاشَ « أبُو الْحَجَّاج » مَعَ أُمِّهِ زَمَنًا طَوِيلًا آمِنَيْنِ وادِعَيْن ، قَرِيرَىِ ٱلْعَيْن ، ناعِمَى ٱلْبَالِ ، لَمْ يُكَدِّرْ صَفْوَهُما أَىُّ كَدَرٍ .

٦ — نَصِيحَةُ « أُمِّ شِبْلٍ »

وَذاتَ مَساءٍ كانَ « أَبُو الْحَجَّاج » يَتَحَدَّثُ إلَى « أُمِّ شِبْلٍ » فى ٱلْغار — عَلَى عادَتِهِما — وَيَخُوضانِ فى شَتَّى الأَسْمارِ وَمُخْتَلِفِ الذِّكْرَياتِ .

وَإِنَّهُما لَكَذٰلِكَ، إذْ طَرَقَ آذانَهُما صِياحٌ عالٍ يُدَوِّى فِى ٱلْغَابَةِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُما. فَقالَ «أبُو الْحَجَّاجِ»:

«ألا تَسْمَعِينَ — يا أُمَّاهُ — إلى هٰذِهِ الصَّيْحاتِ ٱلْعالِيَةِ؟ إنَّها — بلا رَيْبٍ — صَيْحاتُ إنْسانٍ يَطْلُبُ النَّجْدَةَ، وَيَلْتَمِسُ الْغَوْثَ؛ وَلَعلَّهُ يُوشِكُ أنْ يَقعَ فَريسةً فى قَبْضَةِ أَحَدِ أعْدائه، وَلا بُدَّ لى مِنَ ٱلْإسْراعِ إلَيْهِ، لَعَلِّى أسْتَطِيعُ إنْقاذَهُ مِنَ ٱلْهَلاكِ.»

فَقالَتْ لَهُ «أُمُّ شِبْلٍ»، وَهِىَ تُحَذِّرُهُ عاقِبَةَ هٰذا ٱلْأَمْرِ، وَتَزْجُرُهُ عَنِ التَّعَرُّضِ لهُ:

«كَلَّا — يا وَلَدِى — لا تفعَلْ، فَإنَّنِى — وَإِنْ رَأَيْتَنِى عَجُوزًا عَمْياءَ، وَذٰلكَ حَقٌّ لا رَيْبَ فِيهِ — أَعْلَمُ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ غَدْرَ الآدَمِيِّينَ بنا، وَإيقاعَهُمْ بِجِنْسِنا، وَتَفَنُّنَهُمْ فى طُرُقِ الاحْتِيالِ عَلَى صَيْدِنا؛ وَإنَّنِى لَأُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّكَ إذا أنْقَذْتَ هٰذا الْإنْسانَ التَّاعِسَ ٱلْمِسْكِينَ، وَخَلَّصْتَهُ مِنَ ٱلْهَلاكِ، فَلَنْ يُقابِلَ هٰذا الْإحْسانَ بِغَيْرِ الْإساءَةِ والْجُحُودِ، وَالْخِيانَةِ والْكُنُودِ.»

٧ — مُخالَفَةُ النَّصِيحَةِ

وَلٰكِنَّ «أبا الْحَجَّاجِ» لَمْ يُصْغِ إِلَى نَصِيحَةِ أُمِّهِ، وَلَمْ يُطِقِ ٱلْبَقاءَ إِلَى جانبِها، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أن يَتَلَكَّأَ فى إغاثَةِ ٱلْبَائِسِ ٱلْمَلْهُوفِ، وَأَبَى إلَّا أنْ يُنْقِذَهُ مِمَّا أَلَمَّ بِهِ، فَقالَ «لأُمِّ شِبْلٍ» مُتَلَطِّفًا:

«اغفِرِي لِي – يا أُمَّاهُ – أَنْ أُخالِفَ نُصْحَكِ لِلْمَرَّةِ الْأُولى فِي حياتى ؛ فَلَيْسَ فِي وُسْعِي أَنْ أَكُفَّ عَنْ مُعاوَنَةِ طالِبِ نَجْدَةٍ أَيًّا كانَ جِنْسُهُ . وَلَنْ أُطِيقَ سَماعَ هٰذِهِ الصَّيْحاتِ الْعالِيَةِ الْمُؤْلِمَةِ ، دُونَ أَنْ أَبْذُلَ جُهْدِي فِي إِنْقاذِ صاحِبِها مِنْ مَأْزِقِهِ . »

٨ – حَدِيثُ الْحطّابِ

ثُمَّ أَسْرَعَ « أَبُو الْحَجَّاجِ » صَوْبَ الْجِهَةِ الَّتِي انْبَعَثَتْ مِنْها الصَّيْحاتُ ، حَتَّى إِذا بَلَغَ بُحَيْرَةَ « اللُّوتَسِ » لَمَحَتْ عَيْناهُ رَجُلًا يَلْبَسُ ثِيابَ الْحَطَّابِينَ . وَلَمْ يَكَدْ « أَبُو الْحَجَّاجِ » يَدْنُو مِنْهُ ، حَتَّى هَمَّ الرَّجُلُ بِالْفِرارِ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ . وَلٰكِنَّ « أَبا الْحَجَّاجِ » قالَ لَهُ مُتَلَطِّفًا :

« لا تَخْشَ مِنِّي شَيْئًا – أَيُّها الْغَرِيبُ – وَحَدِّثْنِي بِحَدِيثِكَ لِأَتَعَرَّفَ قِصَّتَكَ ؛ فَما جِئْتُ إِلَّا لِإِنْقاذِكَ مِنْ وَرْطَتِكَ . وَلَعَلِّي قادِرٌ عَلَى تَخْفِيفِ أَلَمِكَ ، وَدَفْعِ شِكايَتِكَ . »

فَقالَ لَهُ الْحَطّابُ ، وَهُوَ شارِدُ الْفِكْرِ :

« وا أَسَفاهُ ، أَيُّها الْفِيلُ الْأَبْيَضُ النَّبِيلُ الْكَرِيمُ النَّفْسِ ! أَلا لَيْتَكَ قادِرٌ عَلَى إِغاثَتِي وَإِنْقاذِي مِمَّا أَنا فِيهِ . فَقَدْ ضَلَلْتُ طَرِيقِي – مُنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ كامِلَةٍ – فِي هٰذِهِ الْغابَةِ الْواسِعَةِ الْمُوحِشَةِ ، الَّتِي لا يَقْطُنُها أَحَدٌ مِنْ بَنِي الْإِنْسانِ ؛ وَيَئِسْتُ مِنَ الْعَوْدَةِ إِلَى مَدِينَةِ « بَنارِسَ » . فَمَنْ لِي بِمَنْ يَهْدِينِي سَواءَ السَّبِيلِ ؟ »



فَقالَ لَهُ « أَبُو الْحَجَّاج » ، وَقَدِ امْتَلأَتْ نَفْسُهُ سُرُورًا وَغِبْطَةً ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى مُساعَدَتِه :

« ما أَيْسَرَ ما تَطْلُبُهُ ، أَيُّها الْحَطَّابُ . فلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ ظَهْرِى ، لِأَحْمِلَكَ إِلَى حَيْثُ يَعِيشُ أَبْناءِ جِنْسِكَ مِنَ النَّاسِ . »

٩ — صَنِيعُ الْفِيلِ

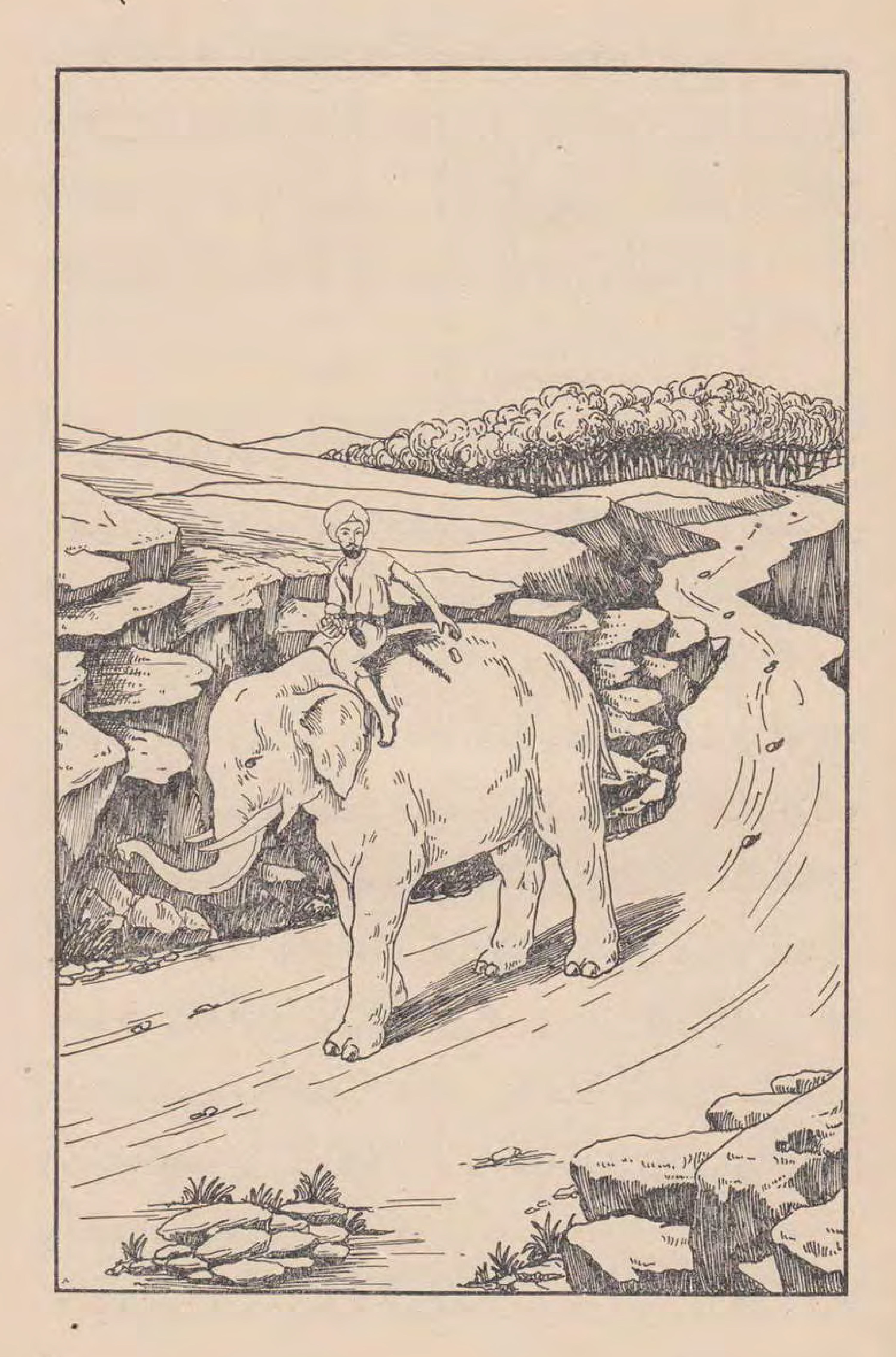
فَابْتَهَجَ الْحَطَّابُ بِذٰلِكَ أَشَدَّ الابْتِهاجِ ، وَقَفَزَ عَلَى ظَهْرِ الْفِيلِ الْأَبْيَضِ فَرِحًا مَسْرُورًا . ثُمَّ انْطَلَقَ « أَبُو الْحَجَّاج » يَعْدُو بِهِ مُسْرِعًا — خِلالَ الْغابَةِ الْواسِعَةِ الْأَرْجاءِ — حَتَّى بَلَغا مَدِينَةَ « بَنارِسَ . »

فَقالَ لَهُ « أَبُو الْحَجَّاج » :

« لَمْ يَبْقَ عَلَيْكَ — أَيُّها الْحَطَّابُ — إِلَّا بُرْهَةٌ قَلِيلَةٌ لِتَصِلَ إِلَى بَيْتِكَ . فَإِنَّ مَدِينَةَ « بَنارِسَ » — كَما تَراها — قَرِيبَةٌ مِنْكَ ، وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها إِلَّا خُطُواتٌ مَعْدُودَةٌ . »

فَهَمَّ الْحَطَّابُ بِأَنْ يَشْكُرَ لِلْفِيلِ النَّبِيلِ هٰذِهِ الْيَدَ الْبَيْضاءَ الَّتِي أَسْداها إِلَيْهِ ، إِذْ أَنْقَذَهُ مِنَ الْهَلاكِ الْمُحَقَّقِ ، وَهَداهُ إِلَى الطَّرِيقِ بَعْدَ أَنْ ضَلَّ . وَلٰكِنَّ « أَبا الْحَجَّاج » ابْتَدَرَهُ قائِلًا :

« كَلَّا لا تَشْكُرْ لِي صَنِيعِي ، فَإِنِّي لَقَرِيرُ الْعَيْنِ ، مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ بِما فَعَلْتُهُ ؛ فَقَدْ أَتَحْتَ لِي فُرْصَةً ثَمِينَةً ، لِأَداءِ واجِبِي فِي مُعاوَنَةِ بائِسٍ مَلْهُوفٍ ، وَإِنْقاذِ ضالٍّ حائِرٍ ؛ بَعْدَ أَنْ تَقَطَّعَتْ بِهِ الْأَسْبابُ . »



ثُمَّ عادَ « أَبُو الْحَجَّاجِ » إلى كَهْفِهِ الْبَعِيدِ ، وَهُوَ مُبْتَهِجٌ بِما أَسْداهُ إِلَى الْحَطَّابِ الْمِسْكِينِ مِنْ صَنِيعٍ . وَلَمْ يَدْرِ الْفِيلُ النَّبِيلُ ما يَخْبَؤُهُ لَهُ الْقَدَرُ مِنْ أَحْداثٍ وَخُطُوبٍ . وَلَمْ يَدُرْ بِخَلَدِهِ أَنَّ الْخَيْرَ قَدْ يَجْلُبُ الشَّرَّ ، وَأَنَّ الْإِحْسانَ قَدْ يُجْزَى عَلَيْهِ بِالْإِساءَةِ وَالْجُحُودِ .

١٠ — غَدْرُ الْحَطّابِ

وَكانَ الْحَطَّابُ — لِسُوءِ حَظِّ « أَبِي الْحَجَّاجِ » — غادِرًا ، خَبِيثَ النَّفْسِ ، لَئِيمَ الطَّبْعِ . وَقَدْ وَسْوَسَ لَهُ الشَّيْطانُ ، فَجَرَّهُ الطَّمَعُ إِلَى الْخَدِيعَةِ وَالْخِيانَةِ ، وَزَيَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ أَنْ يَغْدِرَ بِصاحِبِهِ ، وَيَجْزِيَهُ عَلَى إِحْسانِهِ أَقْبَحَ الْجَزاءِ .

وَلَمْ يَبْقَ فِي خاطِرِهِ أَنَّ « أَبا الْحَجَّاجِ » قَدْ أَنْقَذَهُ مِنْ حَيْرَتِهِ وَضَلالِهِ ، وَوَقاهُ عادِيَةَ الْهَلاكِ ، وَأَنَّهُ — لِذٰلِكَ — جَدِيرٌ بِالثَّناءِ ، لِبِرِّهِ بِهِ وَعَطْفِهِ عَلَيْهِ ، بَلْ شَغَلَهُ الطَّمَعُ عَنِ الْوَفاءِ ، وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْغادِرَةُ أَنْ يَكْفُرَ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ ، وَيَجْحَدَ ذٰلِكَ الْإِحْسانَ . فَقالَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ :

« لَقَدْ هَلَكَ الْفِيلُ الْأَبْيَضُ الَّذِى كانَ فِى قَصْرِ مَلِكِ « بَنارِسَ » ، قُبَيْلَ خُرُوجِى مِنَ الْمَدِينَةِ بِأَيَّامٍ . وَلا شَكَّ أَنَّ الْمَلِكَ سَيُكافِئُنِى أَجْزَلَ مُكافَأَةٍ إِذا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُوقِعَ هٰذا الْفِيلَ فِى قَبْضَتِى أَسِيرًا ، وَأُقَدِّمَهُ لِلْمَلِكِ هَدِيَّةً ثَمِينَةً . »

وَما لَبِثَتْ هٰذِهِ الْفِكْرَةُ الْجارِمَةُ أَنْ أَصْبَحَتْ عَزْمًا وَتَصْمِيمًا . فَظَلَّ

الْحَطَّابُ يُنْعِمُ بَصَرَهُ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكَها «أَبُو الْحَجَّاجِ» . وَظَلَّ يُجِيلُ لِحاظَهُ فِي أَشْجارِها الْعالِيَةِ ، وَتِلالِها الْمُرْتَفِعَةِ ، وَهِضابِها الشَّاهِقَةِ ، الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْها فِي أَثْناءِ السَّيْرِ ؛ حَتَّى لا يَضِلَّ طَرِيقَهُ إِذا هَمَّ بِالْعَوْدَةِ إِلَيْها — مَرَّةً أُخْرَى — وَما زالَ كَذٰلِكَ حَتَّى حَذَقَها وَتَعَرَّفَ طَرائِقَها جَمِيعاً .

١١ — بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ

وَلَمْ يَكَدِ الْحَطَّابُ يَصِلُ إِلَى «بَنارِسَ» حَتَّى مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ ، وَقالَ لَهُ مَسْرُوراً :

« لَقَدِ اهْتَدَيْتُ إِلَى الْفِيلِ الْأَبْيَضِ الْجَدِيرِ بِأَنْ يَحُلَّ مَكانَ «أَبِي كُلْثُومٍ» : ذٰلِكَ الْفِيلِ الْهالِكِ الَّذِي فَقَدَهُ مَوْلايَ ، وَحَزِنَ لِفَقْدِهِ حُزْناً شَدِيدًا . »

وَظَلَّ الْحَطَّابُ يَصِفُ لِمَلِكِ « بَنارِسَ » جَمالَ «أَبِي الْحَجَّاجِ» ، وَيُطْنِبُ لَهُ فِي تَعْدادِ مَزاياهُ وَمَناقِبِهِ ، حَتَّى أُعْجِبَ بِهِ الْمَلِكُ — عَلَى السَّماعِ — وَقالَ لِلْحَطَّابِ :

« لَيْسَ أَشْهَى إِلَى نَفْسِي مِنَ الْحُصُولِ عَلَى هٰذا الْفِيلِ الظَّرِيفِ الَّذِي تَصِفُهُ لِي ، فارْجِعْ إِلَى الْغابَةِ — مِنْ فَوْرِكَ — فِي عِصابَةٍ مِنْ مَهَرَةِ صَيَّادِي الْفِيَلَةِ الْمَشْهُورِينَ فِي مَدِينَتِي . وَمَتَى نَجَحْتُمْ فِي صَيْدِ الْفِيلِ الْأَبْيَضِ ، فَإِنِّي مُكافِئُكَ وَمُكافِئُهُمْ عَلَى ذٰلِكَ أَجْزَلَ مُكافَأَةٍ . »

١٢ — عِنْدَ بُحَيْرَةِ «اللُّوتَسِ»

فابْتَهَجَ الْحَطَّابُ بِما سَمِعَ، وأَسْرَعَ — فى رِفاقَةِ الصَّيَّادِينَ — يَقُودُهُمْ فى شِعابِ الْغابَةِ، ويُرْشِدُهُمْ إِلَى الطَّرائِقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى كَهْفِ «أَبِى الْحَجَّاجِ»، حَتَّى بَلَغُوا بُحَيْرَةَ «اللُّوتَسِ» بلا مَشَقَّةٍ، حَيْثُ وجَدُوا «أَبا الْحَجَّاجِ» يَجْمَعُ الْفاكِهَةَ لِعَشاءِ أُمِّهِ الْعَجُوزِ.

وَلَمْ يَكَدْ «أبو الْحجّاج» يَسْمَعُ وَقْعَ خُطُواتِهِمْ، حَتَّى رَفَعَ إِلَيْهِمْ رَأْسَهُ وَأَجالَ فِيهِمْ بَصَرَهُ؛ فَلَمَحَ صاحِبَهُ الْحَطَّابَ بَيْنَ صَيَّادِى الْأَفْيالِ، فَأَدْرَكَ الفِيلُ الذَّكِىُّ أَنَّ الْحَطَّابَ قَدْ غَدَرَ بِهِ، وَجازاهُ عَلَى مَعْرُوفِهِ أَلْأَمَ جَزاءٍ؛ وَتَحَقَّقَ لَهُ كلامُ أُمِّهِ، ونَدِمَ عَلَى مُخالَفَتِهِ نَصِيحَتَها الثَّمِينَةَ حِينَ لا يَنْفَعُ النَّدَمُ.

١٣ — فِى الْأَسْرِ

وَأَرادَ «أَبُو الْحَجَّاجِ» أَنْ يَهْرُبَ حَتَّى لا يَقَعَ فِى قَبْضَتِهِمْ أَسِيرًا، ولٰكِنَّ الصَّيَّادِينَ الْأَذْكِياءَ الْمُدَرَّبِينَ عَلَى صَيْدِ الْفِيَلَةِ، عَدَوْا فِى أَثَرِهِ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِ مَسالِكَ الْهَرَبِ، وَسَدُّوا مَنافِذَ الطَّرِيقِ، وَبَذَلُوا كُلَّ ما فى وُسْعِهِم — مِنْ حِيلَةٍ وَمَهارَةٍ — حَتى أَوْقَعُوهُ فى شِباكِهِمْ أَسِيرًا، ثُمَّ سارُوا بِهِ فى طَرِيقِهِمْ إِلَى مَدِينَةِ «بَنارِسَ»، مَسْرُورِينَ مَزْهُوِّينَ بِما وُفِّقُوا إِلَيْهِ مِنْ فَوْزٍ وانْتِصارٍ.

١٤ — حُزْنُ «أُمِّ شِبْلٍ»

وظَلَّتْ «أُمُّ شبْلٍ» الْمِسْكِينَةُ جاثِمَةً فِى كَهْفِها تَرْتَقِبُ عَوْدَةَ وَحيدِها «أَبِى الْحَجَّاج» حَتى جاءَ اللَّيْلُ ولَمْ يَعُدْ إلَيْها. فَتَوَجَّسَتْ شرًّا، وَساوَرَتْ نَفْسَها الْهُمُومُ والْأَحْزان، وخَشِيَتْ أنْ يكُونَ قَدْ أصابَهُ سُوءٌ، أوْ لَحِقَ بِهِ أذًى.

ولَمَّا طالَتْ غَيْبَةُ «أَبِى الْحَجَّاج» أَيْقَنَتْ «أُمُّ شبْلٍ» الْعَجُوزُ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ أَسِيرًا فِى قَبْضَةِ الصَّيَّادِين، فَوَلْوَلَتْ وَبَكَتْ، وَظَلَّتْ تَنْدُبُ حَظَّها التَّاعِس، وَتَقُولُ فى نَفْسِها مَحْزُونَةً مُتَحَسِّرَةً:

«الْوَيْلُ لى مِنْ بَعْدِكَ يا «أَبا الْحَجَّاج»، فَما أدْرِى: كَيْفَ أصْنَعُ بَعْدَ أنْ فَقَدْتُ مَعُونَتَكَ، وَحُرِمْتُ بِرَّكَ بِى، وَعَطْفَكَ عَلَىَّ؟ وَما أعْرِفُ: كَيْفَ أعِيشُ فى هٰذِهِ الْعُزْلَةِ؟ وَلَيْسَ لى مَنْ يُطْعِمُنى تلْكَ الْفاكِهَةَ الشَّهِيَّة، أوْ يَهْدِينِى إلى بُحَيْرَةِ «اللُّوتَسِ»، لأَرْوِىَ مِنْها ظَمَئِى إذا عَطِشْت. أَلَا إنَّنِى — مِنْ بَعْدِكَ يا «أَبا الْحَجَّاج» — لا شَكَّ هالِكَةٌ جُوعًا وَعطَشًا، فى هٰذه الْبُقْعَةِ النَّائِيَة! فياليْتَنا تَنَبَّأْنا بِهٰذا الْمُصاب، قَبْلَ وُقُوعِه، وَفَطَنَّا إلى هٰذِهِ الْكارِثَة، وَعرَفْنا عَواقِبَ الْأُمور قَبْلَ أنْ تَحُلَّ بِنا مُفاجِئَةً، وَتنزِلَ بِنا عَلَى غِرَّة. وَيا لَيْتَنا لَبِثْنا — حيْثُ كُنَّا — آمِنِين، لا يُرَوِّعُنا عدُوٌّ، وَلا يَجْرُؤُ عَلَى الدُّنُوِّ مِنَّا كائِنٌ كان!...»

١٥ – حُزْنُ «أبى الْحجَّاج»

أمَّا جَزَعُ «أبِى الْحَجَّاج» وحُزْنُه، فَقَدْ فاقا جَزَعَ أُمِّهِ وحُزْنَها؛ فَلَقَدْ بَرَّحَ بِهِ الْوَجْد، واشْتَدَّ بِهِ الألَم، لِوَحْدَةِ أُمِّهِ وَضَعْفِها، وعَجْزِها عَنِ الْحَياةِ مِنْ بَعْدِه، وظَلَّ يَقُولُ فى نَفْسِه، وهُوَ سائِرٌ فِى طَرِيقِهِ إلى حَيْثُ يَقُودُهُ صَيَّادُوهُ الأَشِدَّاء:

«لَكِ اللّهُ يا «أُمَّ شِبْلٍ»! فَما أَدْرِى: كَيْفَ تُصْبِحِينَ فى مَحَلِّكِ بَعْدِى أَيَّتُها الأُمُّ الْحَنُونُ الْبارَّة؟ ألا لَيْتَنى أَصْغَيْتُ إلى نَصِيحَتِكِ، وَقَبِلْتُ رَأْيَكِ، وَلَمْ أُخالِفْ مَشُورَتَكِ. إذَنْ غَنِمْتُ السَّلامَةَ والتَّوْفِيق، وَنَجَوْتُ مِنَ الْغدْرِ والْجُحُود.

لَقَدْ حَذَّرْتِنى – يا أُمَّاه – كَيْدَ الإنْسانِ وجُحُودَه، فَلَمْ أُصْغِ إلى نَصِيحَتِك، وَلَمْ أَنْتَفِعْ بِتَحْذِيرِكِ، وَلَوْ أَنَّنِى سَمِعْتُ مَقالَتَكِ، وأَخَذْتُ بِرَأْيِكِ السَّدِيد، لَعِشْتُ طُولَ عُمْرِى هانِئاً وادِعاً، ناعِماً بِالْحُرِّيَّةِ بِجِوارِكِ، وَلَمْ أَقَعْ فى قَبْضَةِ هٰؤُلاءِ الأَشْرارِ الْغادِرِين.

وَما أَدْرِى: كَيْفَ تَصْنَعِين – يا أُمَّاه – بَعْدَ أَنْ تَقَطَّعَتْ بِكِ أَسْبابُ الْحَياة، وَفَقَدْتِ ناصِرَكِ الْوَفِيَّ الأَمِينَ، وحُرِمْتِ وَلَدَكِ الصَّادِقَ الْمُعِينَ؟...»

١٦ — مُكافأةُ الْملِكِ

وَلَمَّا مَثَلَ الصَّيَّادُونَ والْحطّابُ بيْنَ يدَى الْملِكِ ، وَمَعَهُمُ الْفِيلُ الْأَبْيَضُ ، أُعْجِبَ الْملِكُ بِمَنْظَرِهِ ، وسُرَّ بِهِ سُرُورًا عَظِيماً . وكانَتْ أماراتُ الْكآبةِ والْحُزْنِ بادِيَةً عَلَى مَلامِحِ « أبِي الْحجَّاج » ، ولٰكِنَّها لَمْ تنَلْ مِنْ جَمالِ شَكْلِه ، وبَهاءِ مَنْظَرِه ، فقَالَ الْملِكُ :

« ما أَجْمَلَهُ فِيلًا رائِعَ الْمنْظَرِ ، بَهِيَّ الْمَلامِحِ ، مُشْرِقَ الطَّلْعَةِ . فَلَأَتَّخِذَنَّهُ — مُنْذُ الْيَوْمِ — مَرْكَبِي ، فَهُوَ أفخَمُ فِيلٍ رَأَيْتُهُ أوْ سَمِعْتُ بِهِ فى حَياتِي . »

ثُمَّ أَجْزَلَ الْملِكُ مُكافَأَةَ الْحطّابِ والصَّيّادِين ، وأَمَرَ أَتْباعَهُ أنْ يَتَخَيَّرُوا أحْسَنَ مَكانٍ فى الإصْطَبْلِ الْمَلَكِيِّ لِيَحُلَّ فِيهِ « أبُو الْحَجّاج » ، كما أمَرَهُمْ أنْ يُحَلُّوهُ بأثْمَنِ اللآلِئِ وأنفَسِ الْيَواقِيت .

١٧ — مَرَضُ « أبِي الْحَجَّاج »

وَمَرَّتْ عَلَى هٰذا الْحادِثِ أيَّامٌ قَلِيلَةٌ ، ثُمّ أرادَ الْملِكُ أنْ يرْكَبَ الْفِيلَ الْأَبْيَض ، وَيَطُوفَ بِهِ فى الْمَدِينَة ، فَقَالَ لَهُ أتْباعُهُ ، والْحُزْنُ بادٍ عَلَى وُجُوهِهِم :

« إنَّ الْفِيلَ الأبْيَض — يا مَوْلانا — قَدْ مَرِضَ مَرَضاً خَطِيرًا ، وانْتابَهُ ضَعْفٌ شَدِيد ، وَهُو — مُنْذُ حَضَرَ أرْضَنا — لَمْ يَذُقْ طَعامًا

وَلا شَرابا ، وَقَدْ تَخَيَّرْنا لَهُ أشْهَى ٱلْأَطْعِمَةِ وٱلْأَشْرِبَةِ مِنَ ٱلْفاكِهَةِ وٱلْحَشائِشِ ، فَلَمْ يَذُقْ مِنْها شَيْئا . »

فارْتاعَ الْمَلِكُ لِهٰذا النَّبإِ ، وَأَسْرَعَ — فى الْحالِ — إلَى الْإصْطَبْلِ ، فَرَأى عَلَى وَجْهِ « أبِى الْحَجَّاجِ » سِيما ٱلْكَدَرِ والْهَمِّ ، فَصاحَ بِهِ قائِلًا :

« ما بالُكَ — أيُّها ٱلْفِيلُ الْكَرِيمُ — قَدْ تَغَيَّرَتْ مَلامِحُكَ ، وَسِيءَ وَجْهُكَ ، وَتَبَدَّلَتْ أطْوارُكَ ؟ أىُّ شَىْءٍ بَغَّضَ طَعامَنا وَشَرابَنا إلَيْكَ ؟ أتُرَى خَدَمِى قَدْ أهْمَلُوا ٱلْعِنايةَ بِأمْرِكَ ؟ أمْ تُراهُم قَصَّرُوا فى تَخَيُّرِ ما يُرْضِيكَ مِنْ لَذائِذِ الْأَطْعِمَةِ الَّتى تَشْتَهِيها نَفْسُكَ ؟ »

١٨ — شَكْوَى « أبِى الْحَجَّاجِ »

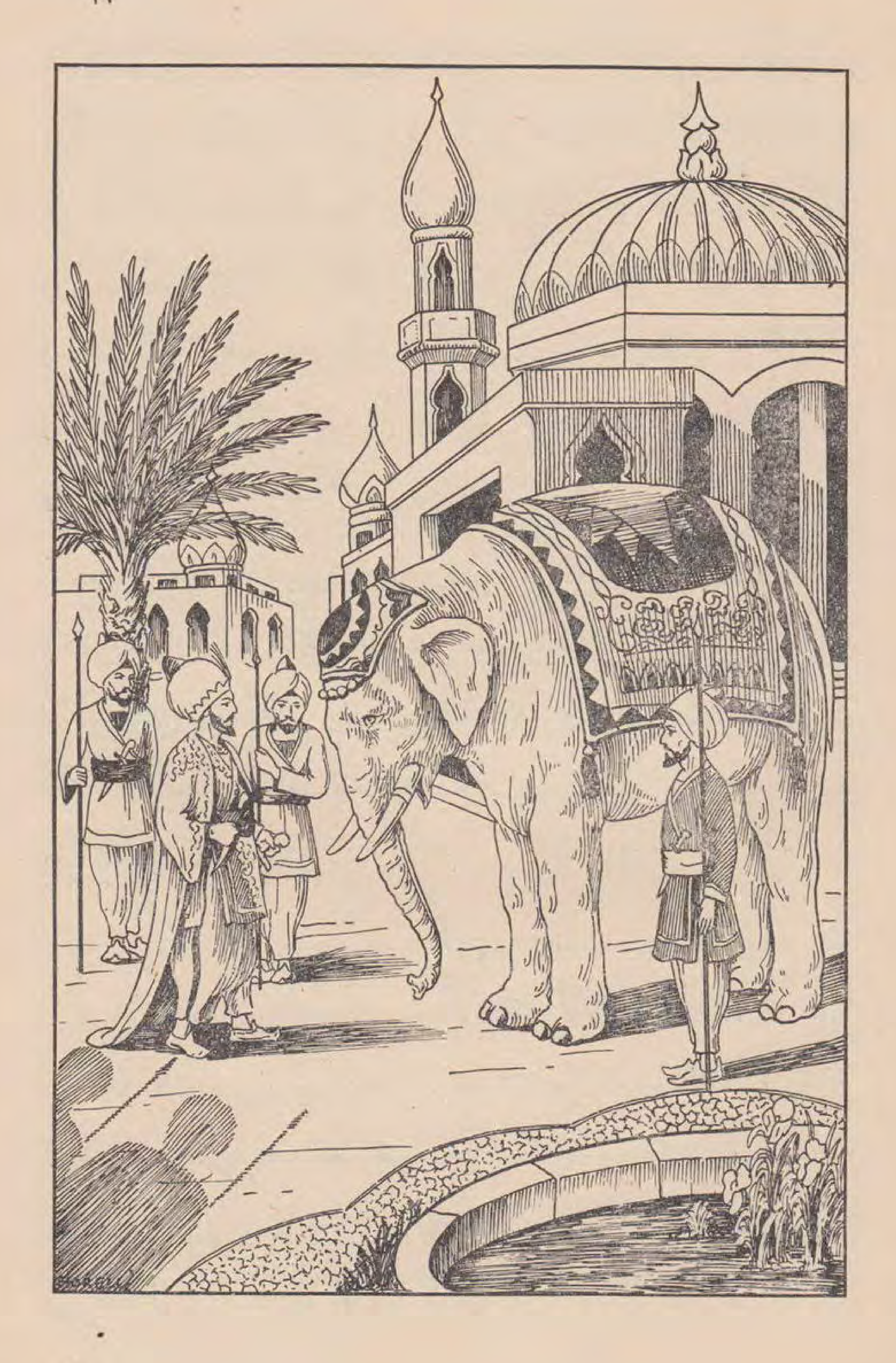
فَهَزَّ « أبُو الْحَجَّاجِ » رَأْسَهُ الضَّخْمَ ، وَقالَ بِصَوْتٍ خافِتٍ ، قَدِ ارْتَسَمَتْ فِيهِ نَبَراتُ الْحُزْنِ والْأَسَى :

« كَلَّا يا مَوْلاىَ ! »

فَقالَ لَهُ الْمَلِكُ ، وَقَدِ اشْتَدَّ شَوْقُهُ إلى تَعَرُّفِ قِصَّتِهِ :

« خَبِّرْنى — فِى صَراحَةٍ — أيُّها ٱلْفِيلُ الْكَرِيمُ عَنْ سِرِّ هَمِّكَ واكْتِئابِكَ ، فَإنِّى باذِلٌ جُهْدِى فِى إسْعادِكَ وَتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِكَ إذا وَجَدْتُ إلى ذٰلِكَ سَبِيلًا . »

فَقالَ « أبو الْحَجَّاجِ » ، فِى لَهْجَةٍ حَزِينَةٍ :



« شُكْرًا لكَ أَيُّها الْمَلِكُ الْعَظِيمُ عَلَى عِنايَتِكَ بِأَمْرِى ، واهْتِمامِكَ بِشَأْنِى . وَلَقَدْ سَأَلْتَنِى — يا مَوْلاىَ — عَنْ مَصْدَرِ حُزْنِى ، واقْتَرَحْتَ عَلَىَّ أَنْ أَتَمَنَّى عَلَيكَ الأَمانِىَّ . وَلَيْسَ لِى مِنْ أُمْنِيَّةٍ فى هٰذِهِ الْحياةِ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ أَعُودَ إلى أُمِّىَ الْعَجُوزِ التَّاعِسَةِ الْعَمْياءِ الَّتى تَرَكْتُها فى الْغابَةِ وَحِيدَةً لا عائِلَ لها ، وَهِىَ تُوشِكُ أَنْ تَهْلِكَ جُوعًا وَعَطَشًا فى كَهْفِها ؛ وَلَنْ أَطْعَمَ شَيْئًا بَعْدَها ، وَلَنْ أَسْتَسِيغَ الزَّادَ وَهِىَ تَتَضَوَّرُ جُوعًا ، وَلا تَجِدُ إلى الطَّعامِ سَبِيلًا . »

فَسَأَلَهُ مَلِكُ « بَنارِسَ » عَنْ قِصَّتِهِ ، فَحَدَّثَهُ بِها كُلِّها ، وَأَخْبَرَهُ بِانْتِقالِهِ هُوَ وَأُمُّهُ إلى مَكانٍ بَعِيدٍ عَنْ قَطِيعِ الْفِيَلَةِ ، وَكَيْفَ عاشَ مَعَ أُمِّهِ أَسْعَدَ عَيْشٍ فى عُزْلَةٍ وادِعَةٍ هَنِيئَةٍ ؛ حَتَّى جاءَهُما الْحَطّابُ ، وَكانَ مَقْدَمُهُ عَلَيْهِما شُؤْمًا وَخَرابًا ، فَكَدَّرَ صَفْوَ عَيْشِهِما الرَّغِيدِ بِخِيانَتِهِ وَغَدْرِهِ .

١٩ — انْفِكاكٌ مِنَ الأَسْرِ

كانَ مَلِكُ « بَنارِسَ » عادِلًا رَحِيمًا ، يُؤْثِرُ الإنْصافَ وَيَرْتاحُ لِلْمَعْرُوفِ ؛ فَقالَ لِلْفِيلِ الأَبْيَضِ ، عَلَى شَغَفِهِ بِهِ وَرَغْبَتِهِ فى اسْتِبْقائِهِ :

« أَيُّها الْحَيَوانُ النَّبِيلُ ! إنَّ طِيبَةَ قَلْبِكَ ، وَحُسْنَ طَوِيَّتِكَ ، قَدْ أَظْهَرا — أَمامِى — خِسَّةَ الْجِنْسِ الآدَمِىِّ وَغَدْرَهُ . وَقَدْ أَطْلَقْتُ سَراحَكَ

— مُنْذُ الآنَ — فعُدْ إلى أُمِّكَ وَارْعَها، وَتَوَلَّ أَمْرَها، وَثابِرْ عَلَى بِرِّكَ بِها، وَعَطْفِكَ عَلَيْها ما حَيِيتَ. »

فَشَكَرَ لَهُ « أبُو الْحَجَّاج » عَدالَتَهُ وكَرَمَه وَإحْسانَه، وقال له مُغْتَبِطاً فَرْحانَ: « لَنْ أَنْسَى لَكَ — يا مَوْلاىَ — هٰذا الْجَمِيلَ! »

٢٠ — اجْتِماعُ الشَّمْلِ

ثُمَّ أَسْرَعَ « أبو الْحَجَّاج » فِي طَرِيقِهِ إلى كَهْفِ أُمِّهِ، عَلَى ما بِهِ مِنْ ضَعْفٍ وهُزالٍ، وجُوعٍ وعَطَشٍ. وَلا تَسَلْ عَنْ فرَحِهِ وَابْتِهاجِهِ حِينَ رَأى أُمَّهُ لا تَزالُ عَلَى قَيْدِ الْحَياةِ. وَلا تَسَلْ عَنْ فَرَحِ « أُمِّ شِبْلٍ » بِوَلَدِها حِينَ عادَ إلَيْها بَعْدَ يَأْسٍ مِنْ عَوْدَتِهِ!

وَلَمْ يَكَدْ يَسْتَقِرُّ بِهِ الْمُقامُ، حَتَّى قَصَّ عَلَى أُمِّهِ كلَّ ما حَدَثَ لَهُ فى أثْناءِ غَيْبَتِهِ. فقالَتْ لهُ مُتأَلِّمَةً:

« لَقَدْ كان عليكَ — يا وَلَدِى — أن تُصْغِيَ إلَى نصيحتى! فهل آمَنْتَ الآنَ بِغَدْرِ الآدَمِيِّينَ، وجُحُودِ بَنِى الْإنسانِ؟ وهَلْ أَدْرَكْتَ أَنَّ سُوءَ النِّيَّةِ — كَما حَدَّثْتُكَ — مُتَأَصِّلٌ فِى نُفُوسِهِمْ مُنْذُ الْقِدَمِ؟ »

فَقال لَها « أَبو الْحَجَّاج »:

« لَيْسُوا جَمِيعاً خَوَنَةً وَغادِرِينَ — يا أُمَّاهُ — فَإنَّ فِيهِمُ الطَّيِّبَ وَالْخَبِيثَ، وَالْمُحْسِنَ وَالْمُسِيءَ. وَلَوْلا أَنَّ مَلِكَ « بَنارِسَ » عادِلٌ رَحِيمٌ، سَرِيُّ النَّفس؛ لَما وَجَدْتُ إلَى الْفَكاكِ مِنْ أَسْرِى سَبِيلًا طُولَ الْحَياةِ.

وَما أَحْسَنَ أَنْ نَنْسَى — يا أُمَّاهُ — غَدْرَ الْحَطّابِ ، ولا نَذْكُرَ إلَّا كَرَمَ الْمَلِكِ وَإحْسانَهُ ، فَإنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ . »

٢١ — خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَقَدْ بَرَّ « أبو الْحَجَّاج » بِما قالَ ، وَنَسِيَ — مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ — غَدْرَ الْحَطَّابِ وَخِيانَتَهُ ، وَجُحُودَهُ وَإساءَتَهُ .

ولٰكِنَّهُ ظَلَّ — حَياتَهُ كُلَّها — يَذْكُرُ صَنيعَ مَلِكِ « بَنارِسَ » ، وَيَشْكُرُ لَهُ مَعْرُوفَهُ الَّذِى أَسْداهُ ، وَلا يَنْساهُ .

القِصَّةُ التالِيَةُ : صَيَّادُ الغِزْلان

صَيّادُ الْغِزْلانِ

١ — فاتِحَةُ الْقِصَّةِ

كانَ الْكاتِبُ الْقَصَصِيُّ الْفَرَنْسِيُّ «إسكندرُ ديماس» يَجُولُ في بلادِ «سويسرا» الْجَميلَةِ، وَمَعَهُ مُرْشِدٌ يَصْحَبُهُ في أَثْناءِ سِياحَتِهِ وتَجْوالِهِ. وَفي ذاتِ يَوْمٍ قَصَّ عَلَيْهِ الدَّليلُ الْأُسْطُورَةَ التّالِيَةَ: أُسْطُورَةَ «صَيّادِ الْغِزْلانِ»، (والْأُسْطُورَةُ هِيَ: الْقِصَّةُ الْقَديمَةُ الَّتي لا يُعْرَفُ أَصْلُها).

وَهٰذِهِ الْأُسْطُورَةُ مِثالٌ مِنَ الْأَساطيرِ الشّائِعَةِ بَيْنَ طَبَقاتِ العامَّةِ بِلادِ «أوروبَّةَ». وَقَدْ أُعْجِبَ الْكاتِبُ الْقاصُّ بِخَيالِ هٰذِهِ الْأُسْطُورَةِ، وَمَغْزاها الرّائِعِ، وَرَأَى فيها دَرْساً جَليلًا، وَعِظَةً بالِغَةً، لِكُلِّ مَنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بِالْغَدْرِ، وَيُغْريهِ طَمَعُهُ بِنَقْضِ الْعَهْدِ، فَتَسُوءُ عُقْباهُ، وَيَحْدُرُهُ ذٰلِكَ إِلَى قَرارِ الْهاوِيَةِ.

٢ — في ذِرْوَةِ الْجَبَلِ

قال «ديماسُ»:

كُنْتُ أَرْتَقي بعضَ الْجِبالِ الْعالِيَةِ، وأَصْعَدُ في شَماريخِ الذُّرَى (رُءوسِ الْجِبالِ) وَمَعي دَليلٌ أَمينٌ خَبيرٌ بالطَّريقِ، عارِفٌ بِأَساليبِها وَمُنْعَرَجاتِها، وَسُهولِها وَحُزُونِها، فَلَمّا بَلَغْنا ذِرْوَةَ الْجَبَلِ، صَعِدَ بي ذٰلِكَ الدَّليلُ قِمَّةَ صَخْرَةٍ عالِيَةٍ، مُشْرِفَةٍ عَلَى أَحَدِ الْوِدْيانِ السَّحيقَةِ،

وَهِيَ : الطُّرُقُ الْمُنْخَفِضَةُ بَيْنَ كُلِّ جَبَلَيْنِ، وَلَمْ نَكَدْ نَرْتَقِي تِلْكَ الْقِمَّةَ الشَّاهِقَةَ، وَهِيَ مُرْتَفِعَةٌ عَنْ أَرْضِ الْوادِي بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ آلافِ قَدَمٍ، حَتَّى قَصَّ الدَّلِيلُ عَلَيَّ هٰذِهِ الْأُسْطُورَةَ الْجَمِيلَةَ، وَهُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ تَصْدِيقِها وَتَكْذِيبِها، كَما تَنُمُّ بِذٰلِكَ لَهجَتُهُ فِي قَصِّها، وَتَشَكُّكُهُ فِي أَثْناءِ رِوايَتِها عَلَيَّ.

وَإِلَيْكَ حَدِيثَ الدَّلِيلِ :

٣ — شَيْخُ الْجَبَلِ

عَلَى قِمَّةِ هٰذِهِ الصَّخْرَةِ الشَّاهِقَةِ الْمُشْرِفَةِ عَلَى هٰذا الْوادِي السَّحِيقِ، كانَ شَيْخُ الْجَبَلِ يَقْطُنُ فِي الْأَزْمانِ السَّابِقَةِ.

وَكانَ هٰذا الشَّيْخُ شَفِيقاً، رَحِيماً بِالنَّاسِ، يُحِبُّ الْخَيْرَ وَالْبِرَّ، وَيَمْقُتُ الْأَذَى وَالشَّرَّ؛ وَلَمْ يَكُنْ يَلْقَى بائِسًا — فِي طَرِيقِهِ — إِلَّا أَعانَهُ وَأَرْضاهُ، وَلا مُعْوِزًا إِلّا أَغاثَهُ وَأَغْناهُ.

وَلٰكِنَّهُ — عَلَى ذٰلِكَ — كانَ يُؤْثِرُ الْأَخْيارَ، وَيَمْقُتُ الْأَشْرارَ، وَيُعْجَبُ بِالصَّادِقِينَ، وَيَكْرَهُ الْكَذِبَ وَذَوِيهِ، وَلا يُعِينُ إِلَّا مَنْ يَتَوَسَّمُ فِيهِ حُبَّ الِاسْتِقامَةِ وَالصَّلاحِ.

٤ — الصَّيَّادُ وَالظَّبْيَةُ

وَكانَ يَعِيشُ فِي هٰذِهِ الْبِلادِ — فِي ذٰلِكَ الزَّمَنِ الْغابِرِ — صَيَّادٌ فَقِيرٌ، لا يَظْفَرُ بِالْقُوتِ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ، شَأْنُ أَمْثالِهِ مِنَ الصَّيَّادِينَ

الَّذِينَ يَقْطُنُونَ الْجِبالَ ، وَيَحْتَرِفُونَ الصَّيْدَ ، وَيَعِيشُونَ عَلَى مايَصْطادُونَهُ فى هٰذِهِ الْأَنْحاءِ .

وَ فِى ذاتِ يَوْمٍ خَرَجَ الصَّيَّادُ — عَلَى عادَتِهِ — وظَلّ يَرْتادُ الْجَبَلَ ، حَتَّى سَنَحَتْ لَهُ الفُرْصَةُ ، إذْ رَأَى أمامَهُ ظَبْيَةً تَسْعَى إلى رِزْقِها .

فابْتَهَجَ الصَّيّادُ بِهٰذِهِ الفُرْصَةِ ، وَجَعَلَ يَقْتَرِبُ مِنَ الظَّبْيَةِ ، حَتَّى إذا داناها أحسّتْ وَقْعَ خُطُواتِه ، فَأَسْرعَتْ بِالْفِرارِ ، وَجَرَتْ — مِنْ فَوْرِها — بِأَقصَى سُرْعَتِها .

فَمَضَى الصَّيّادُ لِخَلْفَ الظَّبْيَةِ ، حَتَّى بَلَغا هٰذِهِ الصَّخْرَةَ الْعالِيَةَ .

فَوَقَفَتِ الظَّبْيَةُ مُتَرَدِّدَةً حائِرةً — بَعْدَ أنْ سُدَّتْ أمامَها مَسالِكُ الْهَرَب — وَلَمْ يَبْقَ لَها خَلاصٌ مِنْ يَدِ الصَّيَّادِ إِلَّا أنْ تَهْوِيَ مِنْ ذٰلِكَ الْعُلُوِّ الشَّاهِقِ إلى الْوادِى السَّحِيقِ ، فَتَلْقَى حَتْفَها وَشيكًا .

٥ — الصَّيَّادُ وَشَيْخُ الْجَبَلِ

وَلَبِثَتِ الظَّبْيَةُ فى مَكانِها ، تَتَوَقَّعُ حَيْنَها (مَوْتَها) — بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى — وَظَلَّتْ تَنْظُرُ إلَى الصَّيَّادِ وَهُوَ يُدانِيها ، وَقَدْ سَرَتْ فِيها رِعْدَةٌ مِنَ الْخَوْفِ ، وارْتَسَمَ الْحُزْنُ عَلَى أساريرِ وَجْهِها . وَكانَ مَنْظَرُها مُؤَثِّرًا ، وَضَعْفُها ظاهِرًا . وَلٰكِنَّ الصَّيَّادَ لَمْ يَرْثِ لَها ، وَلَمْ يَرْحَمْ ضَعْفَها ، وَأَبَى إلَّا صَيْدَها . فَأَسْلَمَتِ الظَّبْيَةُ أَمْرَها لِلّٰهِ ، وَلَمْ تَرَ لَها حِيلَةً فِى مُدافَعَةِ هٰذا الْبَلاءِ

وَأَمْسَكَ الصَّيَّادُ بِقَوْسِهِ وَصَوَّبَهَا إِلَيْهَا . وَلَمْ يَكَدْ يَفْعَلُ ، حَتَّى رَأَى شَيْخًا حَسَنَ السَّمْتِ ، جَمِيلَ الْمَنْظَرِ ، قادِماً عَلَيْهِ . فَكَفَّ الصَّيَّادُ عَمَّا كانَ يَهُمُّ بِهِ ، لِيَعْرِفَ جَلِيَّةَ خَبَرِهِ .

ثُمَّ جَلَسَ الشَّيْخُ إِلَى جانِبِ الظَّبْيَةِ ، فارْتَمَتِ الظَّبْيَةُ تَحْتَ قَدَمَيِ الشَّيْخِ ، ضارِعَةً إِلَيْهِ ، مُسْتَغِيثَةً بِهِ . وَأَقْبَلَ عَلَيْها الشَّيْخُ يُطَمْئِنُها ، وَيُزِيلُ مِنْ مَخاوِفِها ، وَيُرَبِّتُها ، حَتَّى سَكَنَ مِنْ رَوْعِها (فَزَعِها) .

٦ — حِوارُ الشَّيْخِ

ثُمَّ الْتَفَتَ الشَّيْخُ إِلَى الصَّيّادِ ، وقالَ لَهُ :

« ما الَّذِي جاءَ بِكَ إِلَى هُنا ؟ وَماذا أَقْدَمَكَ عَلَيْنا مِنْ وادِيكَ الْبَعِيدِ ؟

أَمَا كانَ لَكَ فِي أَرْضِ ذٰلِكَ الْوادِي الْفَسِيحَةِ مَجالٌ واسِعٌ لِلصَّيْدِ وَالْقَنْصِ ؟

وَكَيْفَ جَرُؤْتَ عَلَى مُطارَدَةِ هٰذِهِ الظَّبْيَةِ الْمِسْكِينَةِ الْوادِعَةِ ؟ وَبِأَيِّ حَقٍّ تُرَوِّعُها وَتُفَزِّعُها ؟

لَقَدْ تَرَكْتُكَ آمِناً فِي وادِيكَ . وَلَمْ أَنْزِلْ إِلَى أَرْضِكَ ، وَأَبَى لِي شَرَفِي وَمُرُوءَتِي أَنْ أَعْتَدِيَ عَلَى ما تَحْوِيهِ بُيُوتُكُمْ — مَعْشَرَ الإِنْسِ — مِنْ دَجاجٍ وَماشِيَةٍ . فَما بالُكُمْ تُزْعِجُونَنا فِي دِيارِنا ، وَتَعْتَدُونَ عَلَى ظَبياتِنا وَغِزْلانِنا ، وتُبَدِّلُونَ أَمْنَها خَوْفاً ، وَسُرُورَها حُزْناً ؟ »

فَأَدْرَكَ الصَّيَّادُ أَنَّ ذٰلِكَ الشَّيْخَ الَّذِي يُحَدِّثُهُ وَيَعْنُفُ عَلَيْهِ فِي

الْكلامِ ، إنَّما هُوَ شَيْخُ الْجبَلِ ، الَّذِى ذاعَ اسْمُهُ فِى الْبِلادِ ، واسْتَفاضَ صيتُهُ فِى الآفاقِ .

فَقالَ لَهُ الصَّيَّادُ : « صَدَقْتَ — يا سَيِّدِى الشَّيْخُ — فِيما قُلْتَ ، وإنِّى مُقِرٌّ بخَطَئِى ، مُعْتَرِفٌ بذَنْبِى .

عَلَى أَنَّنِى لَمْ أُقْدِمْ — عَلَى فَعْلَتِى هٰذِهِ — إلَّا مُضْطَرًّا . فَإنَّنِى — كما تَرَى — رَجُلٌ فَقِيرٌ بائِسٌ ، لا أَمْلِكُ فِى بَيْتِى دَجاجاً وَلا ماشِيَةً كما ظَنَنْتَ . وَلوْ كانَ عِنْدِى ما أَقْتاتُ بِهِ لَما رَوَّعْتُ هٰذِهِ الظَّبْيَةَ الوادِعَةَ الآمِنَةَ . وَلٰكِنَّ الْحاجةَ تَدْفَعُ الإنْسانَ إلى الْمَهالِكِ . والْمُضْطَرَّ يَرْكَبُ الصَّعْبَ مِنَ الْأُمُورِ . وَلوْ كَفَفْتُ عَنِ الصَّيْدِ وَالْقَنْصِ لَهَلَكْتُ جُوعاً ! »

٧ — هَدِيَّةُ الشَّيْخِ

فَرَقَّ لَهُ قَلْبُ الشَّيْخِ وَتَأَلَّمَ لِشَكْواهُ أَشَدَّ الأَلَمِ ، فَأقْبَلَ عَلَيْهِ ، يُهَدِّئُ مِنْ رَوْعِهِ ، وَيُرَبِّتُهُ ، وَيَقُولُ لَهُ :

« لا عَلَيْكَ — يا وَلَدِى — فَلَنْ تَلْقَى مِنِّى شَرًّا وَلا أَذًى ، وَسَأَكْفُلُ لَكَ حَياةً هَنِيئَةً ، وعِيشَةً رَغَدًا ، بَعْدَ أَنْ تُعاهِدَنِى عَهْدًا وثِيقاً عَلَى أَنْ تَتْرُكَ الْوُحُوشَ وادِعَةً آمِنَةً ، فَلا تَمَسَّها بِسُوءٍ بَعْدَ الْيَومِ . »

ثُمَّ حَلَبَ الشَّيْخُ مِنْ لَبَنِ تِلْكَ الظَّبْيَةِ فِى صُنْدُوقٍ مِنَ الْخَشَبِ ، وَصَبَرَ عَلَيْهِ قَلِيلًا حَتَّى أَصْبَحَ جُبْنًا ؛ ثُمَّ أَعْطاهُ الصُّنْدُوقَ — بِما يَحْوِيهِ مِنْ جُبْنٍ — وقالَ لَهُ :

« هاكَ — يا وَلَدِى — طَعامَكَ الَّذِى تَنْشُدُهُ وتَسْعَى إلَيْهِ ، فاحْتَفِظْ

بهذا الصُّنْدُوقِ فِي بَيْتِكَ، وكُلْ مِنْهُ ما تَشاءُ؛ فَلَنْ يَنْفَدَ هٰذا الزَّادُ مَهْما تَأْكُلْ مِنْهُ، مَتَى عاهَدْتَنِي عَلَى تَأْمِينِ الْوُحُوشِ. وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذا أَخْلَفْتَ مَعِيَ وَعْدَكَ، نَفِدَ الزَّادُ، وَحَقَّ عَلَيْكَ الْعِقابُ. فَماذا أَنْتَ قائِلٌ؟»

فَشَكَرَ الصَّيَّادُ لِشَيْخِ الْجَبَلِ هَدِيَّتَهُ، وَقالَ لَهُ:

«أُقْسِمُ لَكَ — يا سَيِّدِي — إِنِّي مُعاهِدُكَ عَلَى ذٰلِكَ. وَسَتَرانِي ثابِتًا عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى أَمُوتَ، فَإِذا حَنِثْتُ فِي يَمِينِي. أَوْ نَقَضْتُ عَهْدِي، كُنْتُ جَدِيرًا بِالْهَلاكِ.»

٨ — فِي الْوادِي

ثُمَّ عادَ الصَّيَّادُ إِلَى مَأْواهُ بَعْدَ أَنْ وَدَّعَ شَيْخَ الْجَبَلِ، شاكِرًا لَهُ صَنِيعَهُ وَمُرُوءَتَهُ. وَعاشَ زَمَنًا طَوِيلًا يَأْكُلُ مِنْ ذٰلِكَ الصُّنْدُوقِ، دُونَ أَنْ يَنْفَدَ ما فِيهِ مِنَ الزَّادِ. وَكانَ يَرَى ذٰلِكَ الطَّعامَ الشَّهِيَّ مُتَجَدِّدًا سائِغًا لا تَمَلُّهُ النَّفْسُ، وَلا يَضْجَرُ بِهِ الْآكِلُ. وَكانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ هٰذا الزَّادِ، فَيَسْتَمْرِئُهُ وَيَتَشَهَّاهُ، وَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ أَطْيَبُ طَعامٍ تَذَوَّقَهُ فِي حَياتِه.

وَكَفَّ الصَّيَّادُ — مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ — عَنْ صَيْدِ الْوُحُوشِ، فاطْمَأَنَّتِ الظِّباءُ إِلَيْهِ، وَوَثِقَتْ بِهِ، وَلَمْ تَعُدْ تَخْشَى مِنْهُ شَرًّا وَلا أَذًى، وَأَصْبَحَتْ تَأْلَفُهُ وَتُدانِيهِ، وَتَسْتَرْسِلُ إِلَيْهِ وادِعَةً آمِنَةً.

٩ — نَقْضُ الْعَهْدِ

وَذاَ مَساءٍ رَأَى الصَّيَّادُ ظَبْيَةً تُماشِيهِ، فَساوَرَهُ الطَّمَعُ، وَوَسْوَسَ لَهُ



الشَّيْطانُ أنْ يَنْقُضَ عَهْدَهُ . وَلٰكِنَّهُ ذَكَرَ ما قالَهُ شَيْخُ الْجَبَلِ ، وَخَشِيَ وَعِيدَهُ ؛ فَعَدَلَ عَنْ فِكْرَتِهِ :

وَما زالَتِ الظَّبْيَةُ تَقْتَرِبُ مِنْهُ ، وتدُورُ حَوْلَهُ ، حَتَّى أَغْرَتْهُ بِصَيْدِها ، وَاشْتَهَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَقْتَنِصَها . وَغَلَبَهُ الطَّمَعُ عَلَى أَمْرِهِ ، وَأَنْساهُ الْعَهْدَ الَّذِى أَخَذَ نَفْسَهُ بِهِ ، فَمَضَى يَنْقُضُهُ دُونَ أنْ يَتَدَبَّرَ الْعُقْبَى وَيَحْسِبَ لَها حِساباً .

أَجَلْ ، نَسِىَ الصَّيَّادُ حِوارَ شَيْخِ الْجَبَلِ ، فَصَوَّبَ سِهامَهُ إلَى الظَّبْيَةِ الآمِنَةِ فَقَتَلَها — مِنْ فَوْرِهِ — ثُمَّ أَسْرَعَ إلَيْها فَحَمَلَها إلَى دارِهِ ، وَسَلَخَ جِلْدَها ، وَأَخَذَ مِن لَحْمِها قِطْعَةً كَبِيرَةً فَشَواها وَتَعَشَّى بِها .

١٠ — الْقِطَّةُ السَّوْداءُ

وَلَمَّا ذَهَبَ إلى الصُّنْدُوقِ لِيَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئاً مِنَ الزَّادِ ، خَرَجَتْ قِطَّةٌ سَوْداءُ ، لَها عَيْنانِ وَرِجْلانِ تُشْبِهُ عُيُونَ الرِّجالِ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَقَدِ الْتَقَمَتْ قِطْعَةَ الْجُبْنِ فى فَمِها ، ثُمَّ قَفَزَتْ إلى النَّافِذَةِ مُسْرِعَةً فِى مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ .

***

وَمُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ عادَ الْقَلَقُ إلى نَفْسِ الصَّيَّادِ ، وَساوَرَهُ الْأَسَى ، وَكادَ الْهَمُّ يَقْتُلُهُ ، وَنَدِمَ عَلَى فَعْلَتِهِ بَعْدَ فَواتِ الْفُرْصَةِ .

وَكَفَّتِ الظِّباءُ عَنِ النُّزُولِ إلَى الْوادِى — بَعْدَ هٰذا الْحادِثِ — وَاضْطُرَّ الصَّيَّادُ إلى مُطارَدَتِها فِى التِّلالِ وَالْهِضابِ .

١١ – مَصْرَعُ الصَّيَّادِ

وَمَرَّتْ – عَلَى ذٰلِكَ – سَنَواتٌ ثَلاثٌ كامِلَةٌ ، وَجَرَى الصَّيَّادُ خَلْفَ ظَبْيَة ، حَتَّى وَصَلا إلى ذِرْوَةِ الْجَبَلِ . واسْتَقَرَّتِ الظَّبْيَةُ عَلَى الصَّخْرَةِ الْعالِيَة ، الَّتِي الْتَقَى فيها الصَّيَّادُ وَشَيْخُ الْجَبَلِ فيما مَضَى .

فَصَوَّبَ الصَّيَّادُ سِهامَهُ إلى الظَّبْيَةِ فَجَرَحَها ، وَما لَبِثَتْ أَنْ هَوَتْ إلى الْوادِي السَّحِيق . وَلَمْ يَكَدِ الصَّيَّادُ يَهُمُّ بِالنُّزُولِ إلى الوادِي لِأَخْذِ تِلْكَ الظَّبْيَة ، حَتَّى ظَهَرَ أَمامَهُ شَيْخُ الْجَبَل ، وقالَ لَه :

« كَيْفَ نَسِيتَ وَعْدَكَ ، وَنَقَضْتَ عَهْدَكَ ؟ »

* * *

فَخَجِلَ الصَّيَّادُ مِمَّا فَعَل ، وَتَمَلَّكَهُ الْفَزَعُ ، وَهَمَّ بِالْهَرَب .

وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكَدْ يَفْعَل ، حَتَّى ناداهُ شَيْخُ الْجَبَلِ ، وَكَرَّرَ اسْمَهُ مَرَّاتٍ ثَلاثا . فامْتَلأَتْ نَفْسُ الصَّيَّادِ رُعْباً ، حِينَ سَمِعَ النِّداءَ الثَّالِثَ ؛ وَصاحَ – مِنْ فَرْطِ الْخَوْفِ – صَيْحَةً عالِيَةً جِدًّا ، سَمِعَها أَهْلُ الْوادِي وَساكِنُوه : وَأَذْهَلَهُ الْفَزَعُ والرُّعْبُ عَنْ أَنْ يَتَماسَكَ فِي وَقْفَتِه ، فَزَلَّتْ قَدَمُه ، وَهَوَى – مِنْ فَوْرِه – مُتَرَدِّيًا فِي قَرارِ الْهاوِيَةِ السَّحِيقَة .

* * *

وَهٰكَذا لَقِيَ الصَّيَّادُ النَّاكِثُ الْعَهْدِ جَزاءَ غَدْرِهِ أَعْدَلَ جَزاءٍ ، وَعُوقِبَ عَلَى كَذِبِهِ أَشَدَّ الْعِقاب ، وَقَذَفَ بِهِ الطَّمَعُ إلى الْهَلاك .

القِصَّةُ التَّالِيَةُ : الشَّيْخُ الهِنْدِيُّ

كلمات القصة

« نُثْبِتُ فِي هٰذِهِ الصَّفَحاتِ طائِفَةً مِنَ الكَلِماتِ الَّتِي مَرَّتْ بِالقارِئِ مُفَسَّرَةً لِيَسْهُلَ عَلَيْهِ مُراجَعَتُها واسْتِذْكارُها مَتَى شاءَ . »

الغابِرَةُ : الماضِيَةُ
جَمْهَرَةٌ : جَماعَةٌ
عِيشَةٌ رَغَدٌ : طَيِّبَةٌ
ضَخْمُ الجُثَةِ : عَظِيمُ الجِسْمِ
الوَدِيعُ : الهادِئُ
مُجَرِّبَةٌ : عارِفَةٌ بالأُمُورِ
سُمُوُّ السَّجايا : عُلُوُّ النَّفسِ
لَمْ يَأْلُ جُهْدًا : لَمْ يَدَّخِرْ وُسْعًا
تلبيةُ طِلْبَتِها : إجابةُ رَغْبَتِها
يَهُمُّهُ : يَشغَلُ بالَهُ
لَمْ تُقْلِعْ : لَمْ تَمْتَنِعْ .
لَمْ تَكُفَّ : لَمْ تَنْصَرِفْ
الفَعْلَةُ المَمْقُوتَةُ الشَّنعاءُ : المَكْرُوهةُ القَبِيحَةُ .
يَكُدُّ : يَتعَبُ
انتحَى : قَصَدَ
تَمادَى : اسْتَمَرَّ
جَوْرٌ : ظُلْمٌ

لا تَتَوانَ : لا تُبْطِئْ
الاقْتِراحُ : الرَّغْبَةُ
الكَهْفُ : البَيْتُ المَنقُورُ فِي الجَبَلِ
السَّدِيدُ : الصّائِبُ
الغارُ : الكَهْفُ
الأسْمارُ : الأحادِيثُ
صَوْتٌ يُدَوِّي : يَرْتَفِعُ
لابُدَّ : لا مَخْلَصَ وَلا مَفَرَّ
تَزْجُرُهُ : تَمنَعُهُ وَتَنْهاهُ
الجُحُودُ : الإنْكارُ
الكُنُودُ : إنكارُ النِّعْمَةِ
إيقاعٌ : إيذاءٌ
يُنقِذُهُ مِمّا أَلَمَّ بِهِ : يُخَلِّصُهُ مما أصابَهُ
صَوْب : جِهَة
يَدْنُو : يَقْرُبُ
الفِرارُ : الهَرَبُ
لا يَقطِنُها : لا يَسْكُنُها
يَعْدُو : يَجْرِي

الأَرْجاءُ : النَّواحِي
بُرْهَةٌ قَلِيلَةٌ : وَقْتٌ قَصِيرٌ
اليَدُ البَيْضاءُ التى أَسْداها إلَيْهِ : الصُّنْعُ الجَمِيلُ الذى قَدَّمَهُ لَهُ
ابْتَدَرَهُ : أَسْرَعَ إليهِ
أَتاحَ : هَيَّأَ
الأَحْداثُ وَالخُطُوبُ : المَصائِبُ وَالنَّكَباتُ :
لَمْ يَدُرْ بِخَلَدِهِ : لَمْ يَمُرَّ ببالِهِ
جَدِيرٌ بالثَّناءِ : مُسْتَحِقٌّ لِلشُّكْرِ
وَقاهُ عادِيَةَ الهَلاكِ : حَفِظَهُ مِنَ التَّلَفِ
الجارِمَةُ : الخاطِئَةُ
يُنعِمُ : يُدَقِّقُ
يُجِيلُ لِحاظَهُ : يُدِيرُ بَصَرَهُ
مَثَلَ : وَقَفَ
حَذَقَها : خَبَرَها

يُطْنِبُ : يُطِيلُ
مَنَاقِبُهُ : مَحاسِنُه
شعابُ الْغابَةِ : طرُقُها
عَدَوْا فى أَثَرِهِ : جَرَوْا خَلْفَهُ
جاثِمَةٌ : قاعِدَةٌ
تَرْتَقِبُ : تَنْتَظِرُ
تَوَجَّسَتْ : أَحْسَسَتْ وتَوَقَّعَت
الْبُقعَةُ النَّائِيَةُ : الْأَرْضُ الْبَعِيدَةُ
الْـكارِثَةُ : النَّـكْبَةُ
الدُّنُوُّ : الْقُرْبُ
لا يُرَوِّعُنا : لا يُخِيفُنا
بَرَّحَ بِهِ الْوَجْدُ : أَضناهُ وَأَشْقاهُ
أَسْبابُ الحياةِ : وَسائِلُ الْعَيْش
أَثْمَنُ اللآلِئِ : أَغْلاها
أَنْفَسُ الْيَواقِيتِ : أَقَلُّها وُجُوداً وَأَعْظَمُها قِيمَةً
انْتابَهُ : أَصابَهُ
أَطْوارُهُ : أَحْوالُه
سِيءَ وَجْهُهُ : تَغَيَّرَ
ارْتَسَمَتْ : ظَهَرَتْ وَوَضَحَتْ

تُوشِكُ : تَقتَرِبُ
لا عائِلَ لَها : لا يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ بِشَأْنِها
تَتَضَوَّرُ : تَتلوَّى
يُؤْثِرُ الإِنصاف : يَختارُ الْعَدْل
ثابَرَ : واظَبَ
سَرِيُّ النَّفْسِ : شريفها
يَجُولُ : يَطُوفُ
مَغْزاها : مَقْصِدُها
يَحْدُرُهُ : يُسْقِطُهُ
أَرْتقَى : أَصعَدُ
شَمَارِيخُ الذرَى : أَعالِي رُءُوسِ الجبالِ
ذِرْوَةُ الْجَبَلِ : رَأْسُهُ
الْهاوِيَةُ : الْحُفْرَةُ الْعَمِيقَةُ
مُنعَرجاتُها : أَطْرافُها المتعَوِّجَة
مُشْرِفَةٌ : مُطِلَّةٌ
تَنِمُّ : تُشْعِرُ
يَقطُنُ : يَسْكُنُ
مُعْوِزٌ : فَقِيرٌ مُحتاجٌ
السَّحِيقُ : الْبَعِيدُ فى انخِفاضه
ذَوُوهُ : أَصحابُهُ
الْغابِرُ : الماضِى
يَرْتادُ : يَقصِدُ

الْأَنْحاءُ : الْجِهاتُ
داناها : اقْتَرَبَ مِنْها
تَهْوِى : تَسْقُطُ
حَيْنُها : مَوْتُها
الْأَسارِيرُ : خُطُوطُ الجبين
رِعْدَةٌ : رِعْشَةٌ
لَمْ يَرْثِ لَها : لَمْ يُشْفِقْ عَليها
الْبَلاءُ : الْمُصِيبة
حُسْنُ السَّمْتِ : جَمالُ الْهَيئَةِ
أَقدَمك عَلينا : بَعَثَكَ إِلَينا
رَوْعُها : فزَعُها
اسْتفاضَ صِيتُهُ : اتَّسَعَتْ شُهْرَتُهُ
لا عَليك : لا بَأْسَ عَليكَ
أَكفلُ : أَضْمَنُ
يَنفَدُ : يَفرُغُ
يَسْتمرِئُه : يَسْتَطِيبُهُ
تَسْتَرْسِلُ : تَتَبَسَّطُ
ساوَرَهُ الْأَسَى : غالَبَهُ الْحُزْنُ
زَلَّتْ : سَقَطَتْ
هَوَى : وَقَعَ
المتَرَدِّى : المنقلِبُ
النا كِثُ الْعَهْدِ : الذى لَمْ يُوفِ بِهِ

مكتبة الكيلانى للأطفال[1]

.... وما دُمْنا فِى صَدَد الْأَطْفالِ فَيجِبُ أَلَّا نَنْسَى مُؤَلَّفاتِ «كامِل الْكيلانِىّ» ، فَإِنَّ هٰذا الأدِيبَ الْكَبيرَ الّذِى يَشْغَلُ نَفْسَهُ بأَبِى الْعَلاء ، وَيُخْرِجُ لَنا كِتاباً عنْهُ يُعَدُّ تُحْفَةً ثَمينَةً فِى الْأَدبِ الْعَرَبِىِّ ، هُوَ — قَبْلَ كُلِّ شَىْء — مُؤَلِّفٌ لِلْأَطْفالِ .

وَهُوَ هُنا لَيْسَ أدِيباً فَقَطْ ، بَلْ رَجُلاً بارًّا يَخْدُمُ الطُّفُولَةَ بِأَحْسَنِ ما تُخْدَمُ بِهِ ، وَهُوَ الْكِتابُ الْجميلُ الظَّرِيفُ ، الّذِى يَبْهَرُ الْعَيْنَ بزَخارِفِهِ وَصُوَرِهِ . فَقَدْ أَخْرَجَ إلى الآنَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ كِتاباً لِلْأَطْفالِ ، كُلُّها مَشْكُولٌ ، وكُلُّها مُصوَّرٌ .

وَقَدْ رَأَى قُرّاؤُنا فِى الْعَدَدِ الْماضِى : كَيْفَ أَنَّ الصِّينِيِّينَ قَدْ تَرْجَمُوا بَعْضَها إلى لُغَتِهِمْ ، برًّا بِأَطْفالِهِمْ .

وَكُتُبُ الْكيلانىِّ تَتَناوَلُ مُخْتَلِفَ الْمَوْضُوعاتِ الْقَصَصِيَّةِ : شَرْقِيَّةً وَغَرْبِيَّةً ، فَفِيها قِصَصٌ مِنْ « أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ » ، وَأُخْرَى مِنْ « شِكِسْبِيرَ » ، بَلْ بِها قِصَصٌ عِلْمِيَّةٌ ، وَرِحْلاتٌ حَقِيقِيَّةٌ وَخَيالِيَّةٌ .

وَإعجابُنا بِالْكيلانِىّ كَبيرٌ ، لِجُهُودِهِ فِى خِدْمَةِ الْأَدَبِ الْعَرَبِىِّ ، وَلٰكِنّا نُعْجَبُ بِهِ أَكْثَرَ ؛ لِجُهودِهِ — بَلْ لِبِرِّهِ — فِى خِدْمَةِ أَطْفالِنا ....

سلامة موسى

(١) رأى المجلة الجديدة بقلم رئيس تحريرها .



مكتبة الأطفال بقلم كامل كيلانى

قصص فكاهية

١ عمارة . ٢ الأرنب الذكى .
٣ عفاريت اللصوص . ٤ نعمان .
٥ العرندس . ٦ أبو الحسن .
٧ حذاء الطنبورى . ٨ بنت الصباغ .

قصص من ألف ليلة

١ بابا عبد الله والدرويش !
٢ أبو صير وأبو قير . ٣ على بابا .
٤ عبد الله البرى وعبد الله البحرى .
٥ الملك عجيب . ٦ خسروشاه .
٧ السندباد البحرى . ٨ علاء الدين .
٩ تاجر بغداد . ١٠ مدينة النحاس .

قصص هندية

١ الشيخ الهندى . ٢ الوزير السجين .
٣ الأميرة القاسية . ٤ خاتم الذكرى .
٥ شبكة الموت . ٦ فى غابة الشياطين.
٧ صراع الأخوين

قصص شكسبير

١ العاصفة . ٢ تاجر البندقية .
٣ يوليوس قيصر . ٤ الملك لير .

أساطير العالم

١ الملك ميداس . ٢ فى بلاد العجائب
٣ القصر الهندى . ٤ قصاص الأثر .
٥ بطل أثينا . ٦ الفيل الأبيض .

قصص علمية

١ أصدقاء الربيع . ٢ زهرة البرسيم .
٣ فى الاصطبل . ٤ جبارة الغابة .
٥ أسرة السناجيب . ٦ أم سند وأم هند
٧ الصديقتان . ٨ أم مازن .
٩ العنكب الحزين . ١٠ النحلة العاملة .

أشهر القصص

١ روبنسن كروزو . ٢ رحلات جلفر .

قصص عربية

١ حى بن يقظان .
٢ ابن جبير فى مصر والحجاز
٣ عودة ابن جبير إلى سوريا والأندلس .
٤ عنترة

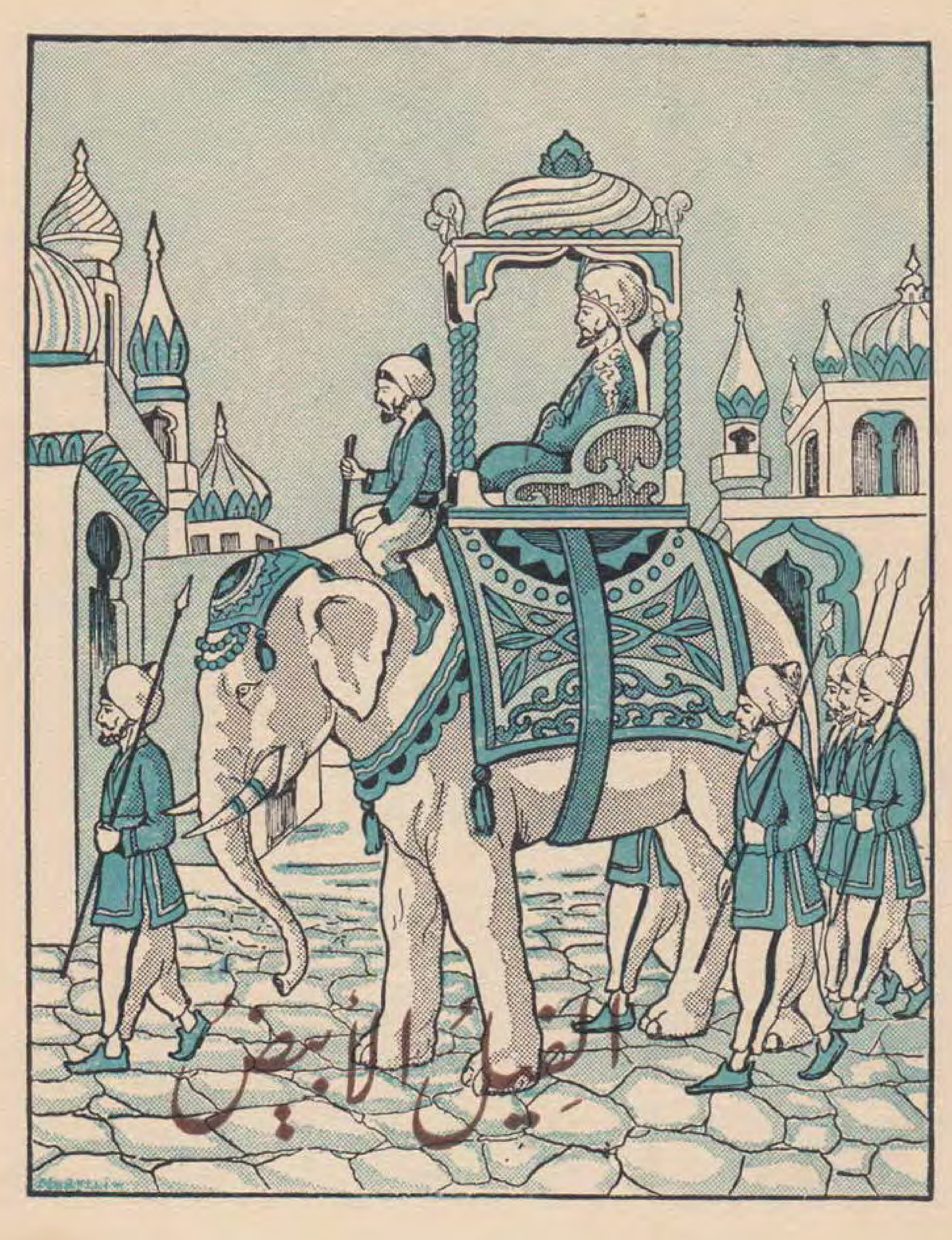
قصص تمثيلية

١ الملك النجار

ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر

كامل كيلانى

أساطير العالم للأطفال



دار المعارف بمصر

أساطير العالم للأطفال

بقلم كامل كيلاني

القصة الأولى

الفيلُ الأبيضُ

القصة الثانية

صيّادُ الغِزْلان



ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

